

## سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ﴿١﴾  
 تُجَادِلُكَ: تحاورك وتراجعك الكلام.  
 تَحَاوُرَكُمَا: مراجعتكما القول.

كان من عادة العرب في الجاهلية أن الرجل إذا قال لزوجته : "أنت علي كظهر أمي"، حُرمت عليه إلى الأبد ، وكان ذلك يُسمى ظهاراً ، وقد حدث ذات مرة أن قال أحد المسلمين في المدينة ، وهو أوس بن الصامت ، لامرأته خولة بنت ثعلبة الأنصارية هذا الكلام ، فتوجهت إلى رسول الله ﷺ تحكي عليه ما جرى بينها وبين زوجها ، فأجابها - عليه الصلاة والسلام - قائلاً : "ما أراك إلا قد حُرمت عليه" مما جعل خولة تحزن وتقلق على مستقبلها هي وأولادها الصغار ، وما قد يتعرضون له من الضياع والتشرد ، فأخذت في البكاء والعويل ، فنزلت هذه الآية وما يليها تبياناً للحكم الإسلامي فيما يتعلق بقضية الظهار .

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴾ ﴿٢﴾  
 وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تَوْعُظُونَ بِهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ

مُتَّابِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ۖ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾

يُظَاهِرُونَ: يحرمون نساءهم تحريم أمهاتهم.

مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ: فظيماً منه ينكره الشرع والعقل.

وَزُورًا: كذباً باطلاً منحرفاً عن الحق.

يَتَمَاسًا: يستمتعا بالوقاع، أو دواعيه.

الإسلام يفرق بين الجوهر والمظهر أو بين الصورة والحقيقة، ومن ثم رفض الإسلام الإقرار بهذه العادة المتبعة من قديم الزمان التي تجعل المرأة كالأم الحقيقية تماماً فور مناداة زوجها إياها بلفظ الأم!!، وإذا كان كلام كهذا لغواً من القول وزوراً، فإنه ليس من شأنه البتة أن يغير قوانين الفطرة.

وقد بين القرآن الكريم أن المرأة لا يقع عليها الطلاق عقب ظهار زوجها منها حسب الطريقة المألوفة، إلا أنه ألزم الزوج المظاهر بأداء الكفارة قبل أن يستمتع بزوجه مرة أخرى، وحين يؤدي المراء الكفارة على هذا النحو، إثر وقوعه في خطأ ما، فإنها هو يبعث يقينه من جديد، ويعمل على تقوية وترسيخ عقيدته في ذلك المبدأ الذي كان قد تخلى عنه بسبب الغفلة أو الحماقة!

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

يُحَادُّونَ: يعادون ويشاقون ويخالفون.

كُتِبُوا: أذلوا ، أو أهلكوا ، أو لعنوا.

أَحْصَاهُ اللهُ: أحاط به علماً.

إن مخالفة الحق مخالفة لله ، ومخالفة الله إنما يجني المرء بمخالفته إياه على نفسه هو ليس غير ، وإن المرء لا يستطيع أن يخفي شيئاً مما يعمله سراً أو جهراً عن الله ، وليس في مقدوره أن ينقذ نفسه من مؤاخذه الله - عز وجل !!

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُهَوُّوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعْودُونَ لِمَا بُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُ الْمَصِيرُ ﴿١٠٢﴾

نَجْوَى ثَلَاثَةٍ: تناجيهم ومسارعتهم.

هُوَ رَابِعُهُمْ: بعلمه حيث يطلع على نجواهم.

هُوَ مَعَهُمْ: بعلمه المحيط بكل شيء.

لَوْلَا يُعَذِّبُنَا: هلا يعذبنا.

حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ: كافيهم جهنم.

يَصَلُّونَهَا: يدخلونها أو يقاسون حرها.

كان بعض اليهود والمنافقين إذا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ حيّوه قائلين: السّام عليك ،

بدلاً من السلام عليك ، ولقد كان هذا - ولا يزال - دين السطحيين من البشر دائماً ، وقد يشعر ذوو الأذواق السطحية كهؤلاء بموجة من الفرح تغمرهم إذا هم نجحوا في النيل من عرض إنسان صادق أو الخط من قدره ، ويغيب عن بالهم أن مظاهر الألوهية المنبثة في أرجاء الوجود تكون شاهدةً بعلو مكانة الإنسان الصادق حتى في الوقت الذي يكونون هم قد استعملوا آخر ما في عقولهم الضيقة المحدودة من كلمات التحقير والإهانة !!

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشُرُونَ ۚ إِنَّمَا التَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

إِثْمًا التَّجْوَى: المنهي عنها.

لِيَحْزُنَ: ليوقع في الهم الشديد.

إن المناجاة أي إفشاء بذات نفسه سراً مما لا يُستحسن في الأحوال العادية ، ولكن ربما تدعو الحاجة في بعض الأحيان إلى المناجاة والمحادثات السرية لبعض الأغراض النبيلة كذلك ، ومدار الأمر في هذا الصدد على نية المتناجين ، فإن كان التناجي بنية حسنة فلا بأس به ، وأما إن كان بنية سيئة فلا يجوز .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥١﴾ ﴾

تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ: توسعوا فيها ولا تضاموا.

انثَرُوا: انهضوا للتوسعة أو لعبادة أو خير.

ربما يحدث ، بمقتضى أدب المجالس ، أن يُطالب شخص بالتأخر عن مكانه ليجلس فيه غيره ، كما يحدث في بعض الأحيان أن يقال للحاضرين ، على خلاف رغبتهم في مواصلة الحديث واستمرار الجلسة : "ارجعوا الآن" !! إن اتخاذ أمور كهذه مسألة كرامة دليل على تدني المستوى الشعوري ، وأما الذي لا يتخذ منها مسألة كرامة فقد برهن على كونه بالغاً أعلى مستويات الشعور !!

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجِيتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٧﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتِ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؕ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

أَشْفَقْتُمْ: أخفتم الفقر والعيلة.

وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ: خفف عنكم بنسخ حكمها.

شاءت إرادة الله سبحانه ألا يلقي الرسول إلا من يرغب في لقائه لأي غرض جادٍ في واقع الأمر ، وأن يُفرز من بينهم الفضوليون الذين إنما يتسبون في إضاعة الوقت من غير جدوى بثرثراتهم وأحاديثهم الفارغة ، ومن ثم فرض على كل راغبٍ في لقاء الرسول والتناجي معه أن يتصدق قبل نجواه ، وإن عجز عن تقديم الصدقة فليتطوع بفعل بعض الحسنات الأخرى ... ، وهذا الحكم ، وإن كان في الأصل مطلوباً بالنسبة لرسول الله ﷺ ، إلا أنه سيبقى بعد الرسول مطلوباً كذلك ، حسب مقتضيات الأحوال ، بالنسبة إلى قادة الأمة على قدر مراتبهم !!

﴿ الْمَ تَرِ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى  
الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ اتَّخَذُوا  
أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٢﴾﴾

إِلَى الَّذِينَ: هم المنافقون.

تَوَلَّوْا قَوْمًا: اتخذوا اليهود أولياء.

غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: هم اليهود.

جُنَّةً: وقاية لأنفسهم وأموالهم.

لقد كان منافقو المدينة منضمين إلى جماعة أهل الإسلام ، كما كانوا إلى جانب ذلك متواطئين مع اليهود أيضاً . وهكذا يكون دائماً موقف أولئك الذين لا يعتنقون الحق بالإخلاص والتجرد الكاملين ، وأمثال هؤلاء يتظاهرون بالولاء للجميع ، إلا أنهم في الحقيقة يكونون أوفياء لمصالحهم وحدها ، وإن كانوا يحلفون على كونهم أتباع الحق بكل محرجة من الأيمان !!

﴿ لَنْ نُنْفِئَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴿١٣﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ  
عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٤﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ  
أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُخَادِّونَ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلٰلِ ﴿١٦﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلٰبِ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ  
قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٧﴾﴾

لَنْ نُنْفِئَ: لن تدفع.

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ: استولى وغلب على عقولهم.

يُحَادُّونَ: يعادون ويشاقون ويخالفون.

الْأَذْلَى: الزائدين في الذلة والهوان.

عَزِيزٌ: غالب على أعدائه غير مغلوب.

إن الإنسان النفعي عندما يعارض ويعرقل دعوة الحق؛ يخيل إليه كأنه يحافظ بذلك على مصالحه وأسباب سعادته، إلا أنه سيقف مبهوراً في الآخرة، يوم يرى أن الأشياء التي كان قد جعل منها موضع ثقته في الدنيا، لم تعد تجدي عنه في ساعة القضاء الرهيبة هذه فتيلاً!

والرجل المنافق يتحذلق ويتكلم بملاء شذقيه لكي يبرر موقفه، حتى إنه يحلف بالأيمان الغليظة تأكيداً على صدقه وإخلاصه، وهو إذ يفعل كل ذلك يعتقد أنه "على شيء" وأنه قد هيأ في صالحه أرضية واقعية صلبة يستند عليها، ولكن انفجار القيامة حين يكتشف النقاب عن الحقائق، فإنه سيدرك عندئذ أنها كانت كلمات زائفة من إلقاء الشيطان، تلك التي ظل يرددها باعتبارها أدلة قاطعة على براءته!!

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

بُرُوحٍ مِّنْهُ: بنور يقذفه في قلوبهم. أو بالقرآن.

إن الفوز والنجاح في هذا العالم لحزب الله وحده، وما حزب الله؟ أو ما أوصاف

رجاله؟؟ إنهم أناس ثبت الإيمان في قلوبهم كأعظم حقيقة ، وهم الذين بلغوا من ولائهم لله بحيث راحوا يتلقون من لدن ربهم فيضاً روحياً غامراً ، وهم الذين يكون ارتباطهم بالحقائق الإلهية عميقاً لدرجة أنه يصير عندهم هو الأساس للحب والبغض والصدقة والعداوة ، فهم أقرب ما يكونون ممن هو قريب من الصدق الإلهي وأبعد ما يكون عن من هو بعيد عن الصدق الإلهي ، ولو كان من آبائهم أو ذوي قرباهم !!